صناعة الغوص (صيد اللؤلؤ) في البحرين
دراسة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي

أ.د.صباح مهدي رميض – كلية التربية ابن رشد

الملخص:

احتلت مهنة صيد اللؤلؤ في البحرين وعموم منطقة الخليج العربي مكانة هامة في تاريخ المنطقة الاقتصادي والاجتماعي الحديث قبيل اكتشاف النفط خلال عقد العشرينات من القرن الماضي.

هذه الدراسة سلطت الضوء على طبيعة هذه المهنة وظروف عمل كوادرها لإنجاز مهمة ليست يسيرة، بل استنزفت الجهد وقدمت فيها تضحيات جسام، وزعت مادة الدراسة على ستة محاور رئيسة هي، التعريف بالمقومات الطبيعية لصناعة الغوص في البحرين، والاستحضارات، وإعداد المستلزمات الخاصة بالمهنة، مع بيان كوادر العمل وتوزيع المهام، مع الإشارة إلى ممارسات العمل والطقوس اليومية، كما عرفت بمواسم الغوص الأربعة من حيث سماتها وخصائصها، ثم بينت اثارها الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على المجتمع البحريني، وقدمت في نهاية الدراسة الرؤى الهادفة إلى اعادة الاهتمام بهذا التراث الحضاري للبحرين، وعززت الدراسة بملحق الصور الايضاحية التي تمثل تفاصيل العمل في صناعة الغوص.

أولاً: المقومات الطبيعية لصناعة الغوص في البحرين

لاشك أن صيد اللؤلؤ في البحرين نشاط اقتصادي أعطى لها شخصيتها المتميزة، وأحتل مكان الصدارة في اقتصادها القومي، لمدة طويلة من الزمن، وذلك قبل اكتشاف النفط خلال عقد العشرينات من القرن الماضي [١]. إذ كانت شهرتها تعتمد على كونها المنتجة الأولى، للؤلؤ في عموم منطقة الخليج العربي[٢].

مارس سكان البحرين هذه الحرفة منذ القدم، فهناك من الدلائل ما تشير إلى أن البحرين كانت معروفة بلؤلؤ منذ عام ٢٠٠٠ ق. م، وقد اشار (Ping) في القرن الأول الميلادي، وفي العصور الوسطى، كتب العرب عن استخراج اللؤلؤ في الخليج العربي، بصفة عامة والبحرين بصفة خاصة، كما اشار إلى ذلك المكتشف البرتغالي (Barbosa) عام ١٤٨٥م، إلى غنى البحرين باللؤلؤ وكيف كان أهلها يحققون منه أربحا وفيرة، ولعل هذا الامر هو الذي أغرى البرتغاليين لبسط نفوذهم على البحرين عام ١٥٢٢م [٣].

وهناك مقومات جغرافية وطبيعية اعطت البحرين خصوصيتها كي تتفوق على غيرها من امارات الخليج العربي الأخرى، وفي مقدمتها ملائمة الرصيف القاري لجزر البحرين [٤]، حيث تنتشر القواقع الحاملة للؤلؤ في المناطق التي لا تزيد عمقها على عشرين متر، هو أنسب الأعماق لانتشار للؤلؤ من ناحية ولعمليات استخراجه من ناحية أخرى، وتمتد هذه الشواطئ القليلة العمق على طول الجانب الغربي للخليج العربي لمسافة تزيد على الف كيلو متر تقريبا من رأس الخيمة في الجنوب حتى جنوب الكويت [٥]، وتمثل هذه المنطقة افضل مصائد اللؤلؤ في شمال وشرق جزيرة البحرين الرئيسة [٦]، فضلا عن ذلك ضحالة المياه وشدة حرارة الصيف [٧].

تطورت حرفة صيد اللؤلؤ تطورا ملموسا في البحرين مستفيدة من طبيعة موقعها الجغرافي، إذ اعطاها شهرة خاصة ودورا كبيرا في النهوض بهذه الحرفة، ويفسر ذلك الموقع المداري المتسبب في دفء المياه طول العام وسهولة نقل الحاجات والمنتجات بالسفن التجارية من الهند واليها وأوربا والشرق الاقصى والبلدان العربية المجاورة إلى بلاد فارس، كما أن طبيعة خطوط أعماق مياه الخليج من الناحية الغربية التي تتميز بالسهولة وضحالة اعماقها وخلوها من الجروف البحرية والتيارات المائية القوية [٨]، إذ ساعدت على قرب موقع المغاصات ورصيف اللؤلؤ وسهولة التعامل معه واستغلال محاراته واصدافه بادوات والوسائل البسيطة، فضلا عن ذلك طبيعة الظروف المناخية وحالات الطقس اليومية، التي كانت مشجعة على تطور حرفة الغوص حيث أن معدل درجة حرارة مياه الخليج لا تقل عن ١٧ درجة مئوية عن اليابس وهي بالتالي اعلى من درجة حرارة مياه الخليج منها على اليابسة، فيما تصل في أشهر نصف السنة من الصيف نحو ٣٤ درجة مئوية، لذلك يعد عنصر الحرارة أهم عناصر المناخ وهو المقوم الايجابي في هذه الحرفة وللعاملين فيها أيضاً، فضلا عن استقرار معدل قوة الرياح الدائمة في هذه المنطقة، بحيث لا تتعدى سرعتها ٩٦ كم في الساعة في شهر تشرين الثاني، أمّا في أشهر الصيف فلا تتجاوز ٢٠ كم في الساعة [٩]، وبذلك توفرت المقومات الطبيعية والبشرية لصناعة الغوص في البحرين، فضلا عن ذلك، طبيعة التقاليد الاجتماعية المرتبطة باللؤلؤ نفسه والتي اقترنت به، فالمسيحيون مثلا يعتقدون أن اللؤلؤة الواحدة ترمز إلى السيد المسيح، ومن هنا يدرك سر رواج تجارته بين الدول الأوربية، وانه ليس مجرد زينة وحلية للنساء بل لأنه اتخذ مظهرا دينيا خاصا، أمّا الهندوس فيعرفون اللؤلؤ كونه رمزا للطهارة والنقاوة، ان هناك بعض القبائل تعتقد ان الفتاة العذراء إذا مست عيناها

اللؤلؤة وأطالت النظر فيها تهافت عليها الشباب لطلب يدها للزواج [١٠]، هذه العوامل شجعت سكان البحرين على ممارسة هذه الحرفة مع كونها مربحة ورائجة.

ثانيا: الاستحضارات ومستلزمات عمل الغوص:

تعد مرحلة الاستحضارات والتهيؤ لرحلة الصيد من المراحل المهمة، إذ يولي العاملون بها اهتماما استثنائيا، وتشمل عمليات تجهيز السفن وطلائها وجرها إلى البحر، ومن ثم تجهيزها بخزانات المياه الفناطيس، وفي الوقت ذاته يقوم ربانة السفن بالاتصال ببحارتهم وتجميعهم في مكان وزمان محددين، مع البحث عن ممول لغرض الاقتراض منه وشراء الأطعمة والملابس وكافة الحاجيات الأخرى لهم ولعوائلهم [١١]، مع المباشرة في تهيئة الأدوات الخاصة بعملية الغوص ومنها، الفطام، أو الماسك لفتحتي أنف الغواص المصنوع من الجلد والعظام، ووظيفته منع دخول المياه فيها خلال عملية الغوص تحت المياه وحتى أول خروجه على السطح، والسلة أو (الدبيت)[١٢]، يحملها الغواص لجمع المحارات من تحت الماء، تصنع عادة من اسلاك معدنية وخيوط كتان يضعها الغواص حول رقبته لضمان عدم افلاتها منه، أو أن تربط بحبل مع الغواص، ثم تسحب بعد سحبه وذلك لتخفيف الثقل. أمّا بشان (الحصاة) فهي عبارة عن كتلة من الرصاص ثقيلة الوزن تصل إلى اكثر من ٥٠ كيلو غرام ومهمتها الأساسية مساعدة الغواص في النزول إلى قاع البحر بسرعة وذلك بفعل وزنها الثقيل وهي توفر عليه نصف الوقت تقريبا في قطع المسافة من السطح حتى قاع البحر، وأما السكين فتصنع محليا في ورش حدادة ومن الحديد المستورد من الهند وبريطانيا ومقابضها من الخشب لمحلي، ويحمل الغواص معه اكثر من سكين خشية تعطيل إعماله، تكون حافاتها مسننة منحنية كي تلائم طبيعة اقتلاع صدفة المحار وفلقها [١٣]، أمّا (الثوب) فيصنع من الجلد المدبوغ الرقيق أو قماش القطن السميك لحماية جسم الغواص من احتكاك القناديل والصخور والشعاب المرجانية، ويجب أن يغطي الثوب جميع اجزاء الجسم فيما عدا الكفين وجوارح الوجه ويكون عادة مشدودا إلى الجسم، واما (الزبيل)، فهو الحبل المربوط من احد اطرافه بالحصاة والطرف الاخر مثبت على ظهر السفينة بجانب السيب، وعندما يصل الغواص إلى قاع البحر بمساعدة الحصاة أو يترك في قاع البحر مؤشرا للسيب جرها إلى ظهر السفينة عن طريق الزبيل بعد أن تكون قد أدت مهمتها.

وبخصوص غطاء اليد (الخيط) مصنوع من جلد البقر القوي المدبوغ محليا يلبسه الغواص في كلتا يديه اثناء التقاط المحارات، التي تخشى اصطدامها بالاعشاب البرية والحصى

وغطاء المحارات، ويستخدمه أيضاً جميع من على المركب في مدة الفيلق [١٤]، لتحاشي تجريح الايدي، فضلا عن ذلك فان الغواصين يضعون في اذانهم قطعا من القطن أو الشمع [١٥]، واما (الطرطور) وهو اللباس المصنوع من القماش، فيضعه الغواص على راسه، عندما يروم النزول إلى البحر والغوص إلى الاعماق وتكون وظيفته حماية شعر الراس [١٦].

ثالثا: كوادر العمل وتوزيع المهام في صناعة الغوص:

١- النواخذة: هو رئيس مركب الغوص يراقب اعمال العاملين على مركب الصيد، ويحدد المسؤوليات، وعادة يختار من الاشخاص الذين عملوا لمدة طويلة سابقا ومن ذوي الخبرة وعرفوا بالهدوء وحسن التدبير وذو شخصية جذابة، وقد يكون أحياناً هو مالك السفينة الرئيسي [١٧].

٢- الغواص: يأتي في خبرته بعد النواخذه، وأن عمله محدد بالغوص تحت الماء لجمع المحارات والاصداف، وبذلك يشغل أهم مرحلة في عملية الصيد وأصعبها وتتمثل في عدد مرات الغوص يوميا والتي تتراوح ما بين (٨٠-٩٠) تبه [١٨].

يختلف عدد الغواصين من مركب إلى اخر، وذلك حسب حجم المركب وهدف الربان، وقد يتعرض الغواص إلى مخاطر جسيمة قد تكفله حياته، أمّا بخصوص عمله وطريقة غوصه فانه ينزل في اول مرحلة على حبل خاص به، ويضع رجله على عقدة فيه، وفي اسفل ثقل يساعده على سرعة الغوص (الحصاة) وعند سحبه لابد من شدة ملاحظة (السيب) الساحب لحركة حبل الغواص والذي يجذبه حيث يضيق نفسه طالبا سحبه إلى الاعلى تاركا الثقل ليسحب في حبل اخر، أمّا السلة التي تنزل معه ليضع فيها المحار، فاما أن يربطها في رقبته ليغوص بها ويخرجها معه، وأما أن تربط في حبل الثقل لتسحب معه [١٩].

٣- السيب: مهمته الاساسية إنزال وسحب الغواص، وعادة من يمارس هذه المهمة يعرف بقوته وصلابة عضلاته، وخبرته في قوة الملاحظة الخاصة بحركات حبل المعلق به الغواص [٢٠].

٤- الرضيف: وهم مساعدو السيب وهم مجموعة من الصبية لا تزيد اعمارهم عن (١٤) سنة مهماتهم الاساسية تقديم الخدمات في الفليق والتنظيف، ثم مراقبة مراحل الغوص الاخرى، وغالبا ما يكونون من ابناء الغواصين [٢١].

٥- التباب: هم صبية صغار السن يساعدون البحارة في عملية فتح المحار بتهيئة الطعام والشراب، تتراوح أعمارهم ما بين التاسعة والثالثة عشرة، فضلا عن ذلك، توكل لهم مهمة جمع (الفلوس) وهي عبارة عن انصاف المحار التي يجمع فيها البحارة اللؤلؤ وبعدة مدة تغير هذه (الفلوس) (بفلوس) جديدة وترمى القديمة فيقوم التباب بجمعها وفحصها من جديد لعله يجد فيها بعض اللالي الصغيرة التي لم تتمكن البحارة من رؤيتها، فيجمع هذه اللآليء وتكون من نصيبه وعادة ما يأخذها للنواخذة ليحفظها به في صندوقه الخشبي الذي يطلق عليه اسم (بشتخته))[٢٢].

٦- الطواويش: هم تجار اللؤلؤ أو الموفدون من قبلهم، لشراء حصيلة مراكب الغوص من اللاليء، يأتون اليهم على ظهر قواربهم الخاصة، وعادة ما يتجولون بين الغواصين [٢٣]، في مدة نهاية الموسم.

٧- المكدمي: أي المقدم وهو من أقارب البحارة أو النواخذة، ويعتمد عليه في تطبيق الاوامر، وحفظ النظام كما يقوم بمهمة اعداد مستلزمات عملية الغوص، واما بخصوص بقية المنتفعين فتوزع مهامهم بين عمليات التوزيع والاستقبال، وتجار المصانع والمصنعين إلى الاصداف وغيرهم.

الجدول رقم (١) يوضح الموازنة ما بين عدد سفن الغوص وعدد العاملين عليها، ما بين عام ١٨٢٣ وحتى عام ١٩٧٠.

جدول رقم (١)

اعداد السفن والعمال العاملين في مهنة الغوص ١٨٢٣-١٩٧٠

السنة	عدد السفن	عدد العمال
١٨٢٣	١.٥٠٠	غير معلوم
١٨٤١	٢.٤٠٠	غير معلوم
١٩٣٠	٥٠٩	١٩.٣٠٠
١٩٣٥	٢٧١	١.٥٥٠
١٩٤٠	٢٩٨	٧.٥٠٠
١٩٤٥	١٢١	٥.٦٠٠
١٩٥٠	٧٩	٨٤٠
١٩٥٤	٣٢	غير معلوم
١٩٧٠	١٥	١١٠ [٢٤]

يظهر من معلومات الجدول اعلاه، مستوى التناقض الواضح في عدد السفن والعمال ما بعد عام ١٩٣٠، حيث تعرضت تجارة اللؤلؤ في العالم إلى احداث الازمة الاقتصادية العالمية وتداعياتها، كما أن اليابان قد اكتشفت اللؤلؤ الصناعي الذي يشبه اللؤلؤ الطبيعي بصورة تامة وبذلك سددت ضربة قاصمة لصناعة الغوص في البحرين، وقد تأزمت الحالة الاقتصادية في البلاد بسبب هذا الفتور في اسواق اللؤلؤ العالمية [٢٥].

وفي عام ١٩٣٢ تم استخراج النفط بوفرة واضحة في جزيرة البحرين، وارتفعت ايرادات الحكومة من عائداته، فاخذت اعمال الغوص تضمحل، وقل الاقبال عليها لعل الجدول رقم (٢) يبين التدني الواضح في هذا المجال، مع العلم أن الخبراء يذكرون أن السفن العاملة قبل اربعين عاما في مغاصات اللؤلؤ كانت تقدر بالف سفينة وقبلها في القرن التاسع عشر (٢٠٠٠) سفينة.

جدول رقم (٢)

يمثل تراجع اعداد السفن واعداد العمال للمدة ١٩٣٠-١٩٥٤

السنة	عدد السفن	عدد العمال
١٩٣٠	٥٠٨	١٩.٣٠٠
١٩٣٥	٣١٦	١١.٥٥٠
١٩٤٠	١٩١	٧٥٠٠
١٩٤٥	١٢١	٥.١٠٠
١٩٥٠	٩٤	٨٤٠
١٩٥٢	٢٥	٥٦٣
١٩٥٤	١٢	٤٥٠ [٢٦]

ومن ملاحظة الجدول اعلاه يتبين أن ٥% فقط من السفن تعمل في مغاصات اللؤلؤ عام ١٩٥٤.

رابعاً: ممارسات العمل والطقوس اليومية اثناء رحلة الغوص:

عادة يبدأ موسم الغوص في اول شهر مايس حتى شهر اب، أو أوائل شهر تشرين الاول من الاماكن التي تبحر منها سفن الغوص، وتقام لها احتفالات شعبية مهيبة، حيث يودعهم اهلهم وأقاربهم بالزغاريد والأغاني الشعبية ويدعون لهم فيها صيدا وفيرا وحظا سعيدا،

ويرتدي المودعين احسن ما عندهم من الالبسة، وتقام الاحتفالات وربما شابهتها الاعياد في صفاتها [٢٧].

يتالف اسطول الغوص من سفن عديدة منها ما يسمى (السنبوق) و(جالبوت) وهناك انواع اخرى من هذه السفن تعمل في صيد اللؤلؤ وترافقها سفن صغيرة تقوم على خدمة الرجال الذين يقومون بالصيد ومعظم هذه الانواع تستعمل شط العرب والخليج العربي بصورة عامة، ولهذه السفن اسماء خاصة منها (بغلة – بوم – بتبل – بقارة) وغيرها، وبقي بعضها مستخدما لفترات متاخرة، ويطلق اهل البحرين على هذا الاسطول (الخشب) ويختلف عددها في كل مرة يخرجون فيها إلى الصيد، وأما عملية الخروج لصيد اللؤلؤ فيطلقون عليها اسم (الركيه)، وفي حالة عودتها يطلق عليها اسم (القفال)[٢٨].

وبعد المواسم الاحتفالية بالتوديع تتجه المراكب (السفن) إلى المغاصات، للنزول والابحار، حيث تستغرق الرحلة بين الشاطئ والمغاصات ثماني ساعات، حتى يحل وقت البرد في صباح اليوم التالي، وبعد وصول السفن إلى المكان المخصص والذي يطلق عليه (الهير)، تلقى مراسيها، ويستعد البحارة كل حسب عمله المخصص والذي تدرب عليه [٢٩]، ثم تبدأ عملية الغوص في ساعات الصبات الباكر وبالتحديد قبل طلوع الشمس بحوالي ساعة، حيث ينزل الغواصون إلى قاع البحر لجمع المحارات وتستمر العملية نحو ثلاث ساعات متواصلة ويطلق على هذه الفترة (الصباحية)، وبعدها ينتقل طاقم السفينة إلى مكان اخر، وتستمر نفس الية العمل السابقة ولمدة ساعتين تسمى (الضحى)، وبعدها يتوقف العمل لغرض اداء صلاة الظهر، ثم تناول طعام الغداء واحتساء الشاي والقهوة، وتستمر الاستراحة لمدة ساعة كاملة ثم يستانف العمل عصرا ولا يتوقف إلاَّ عند اذان المغرب، وتعد هذه الفترة اهم الفقرات اليومية واهمها، إذ يتم خلالها جمع اكبر كمية من المحارات [٣٠]، وذلك بعد عمل يوم مضن، يتناول الغواصون وجبة طعام العشاء [٣١]، ثم يتزاور افراد المراكب مع بعضهم البعض وتعقد جلسات السهر والحديث عن يوم العمل، أمّا بعض الشباب فيقومون بتنظيم وتجهيز المحارات ثم تنظيف سطح القارب واعداد ادوات الغوص لليوم التالي، كما يقوم البعض الاخر بصيد الاسماك واعداده لوجبتي الافطار والغداء لليوم التالي [٣٢]، وبعد ذلك ينتهي الواجب اليومي الروتيني بالنسبة للغوص، ثم تبدأ عملية فتح المحار لاستخراج اللؤلؤ، بواسطة اداة تسمى (الفلقة) (وهي سكين صغيرة طولها عشرة سنتيمترات)، تستغرق هذه العملية حوالي ساعة كاملة، ويراقب اثناءها النواخذة عملية فتح المحار مراقبة دقيقة وعن قرب/ مخافة أن يستولي احد البحارة على شيء من المحصول، وكثير من القصص تروى عن ذلك الغواص الذي حاول

اخفاء (داته) ثمينة أو (حصباة) نادرة أو حاول ابتلاع ما يقدر بحجم لؤلؤة، إلاَّ أن ربان السفينة يكون مراقب دائما، كما انه كثيرا ما يتعرض بعض بحارة السفينة في اخر الموسم إلى تفتيش دقيق إذا ساور الربان النواخذة الشك في بعض العمال ولاسيما الجدد منهم [٣٣].

خامساً: مواسم الغوص سماتها وخصائصها:

لصيد اللؤلؤ اربعة مواسم متتابعة يبدا اولها في شهر نيسان وينتهي اخرها في شهر ايلول، وهذه المواسم تتفاوت من حيث طول المدة ولأهمية، وهي تعتمد اعتمادا كبيرا على طبيعة الاحوال الجوية من جهة وعلى اقبال صيادي اللؤلؤ من جهة ثانية [٣٤]، وهذه المواسم هي الاتية:

١- موسم المينا (البرد): يتميز هذا الموسم بمدته القصيرة التي لا تتجاوز اسبوعين، وعدد الاشخاص العاملين فيه محدود أيضاً ما بين (٣-٧) اشخاص، ويقصدون المناطق القريبة من الشواطئ مستغلين حالة الجزر في البحر، وفي بداية هذا الموسم يكون الجو باردا، فان هؤلاء البحارة يذهبون إلى مناطق (المينا) في الصباح ويعودون بعد العصر حيث يقومون بفتح المحار واستخراج ما بها من لؤلؤ، وتجدر الاشارة إلى أن موسم (المينا) ليس فيه نظام غيص وسيب، كما هو متبع في موسم الغوص الكبير، وليس هناك ربان يقود الجماعة بل أن الجميع متساون في المراكز والكل يجمع المحار في المناطق ذات العمق البسيط [٣٥].

٢- موسم الغوص الصغير (الصيفية): يستمر هذا الموسم لمدة شهر، حيث يذهب معظم الغواصين إلى العمل، والفترة الصيفية هي الفترة التي تعود فيها السفن المراحلة بعض الوقت، ويقوم (النواخذه) باعطاء بحارته مبلغا من المال لقضاء احتياجاتهم، وسدد مصاريفهم خلال مدة الاستراحة، إن السمة المميزة لهذا الموسم هو ان الغواصين يكونون على استعداد لممارسة الغوص ليلا ونهارا، وذلك بسبب اعتدال الجو، هؤلاء الغواصين يحضون باحترام وتقدير اصحاب السفن لخبرتهم وشجاعتهم لذلك يكرمون بالهدايا والهبات[٣٦].

٣- موسم الغوص الكبير (الرئيس): يعد هذا الموسم من اهم المواسم، يبدأ من شهر حزيران وينتهي في بادية شهر ايلول قرابة ثلاثة اشهر [٣٧]، بحيث تتجه جميع السفن إلى المغاصات في عرض البحر، ويتوقف موعده في ظروف مناخية ملائمة، الجو المعتدل، والبحر الهادئ ولا توجد عوارض تعيق تحرك اسطول الغوص أو تعيق عملية

جمع المحار، كما أن ماء البحر يكون مناسبا لنزول الغواصين إلى القاع وهو بحالة صافية، يشكل هذا الموسم مردودا رئيساً لألاف البحارة وعوائلهم [٣٨].

وهناك نوعان من النواخذة يمارسان عملهما في هذا الموسم، تختلف طريقة عمل كل واحد منهم عن الاخر فالنواخذه السفلى والذي يعتمد عليه كثيرا فضلا عن تعامله المباشر مع الغواصين حيث يقوم بتسليفهم مبلغا من المال يطلق عليه اسم (اليزوه) أو (التقسام)[٣٩]، أمّا النواخذة الثاني فهو (الخماسين)[٤٠]، تقل اهميته عن الأول، وتكرس مهمته في جوانب ادارية توجيهية لطاقم السفينة.

يقسم موسم الغوص الكبير على عدة فترات وتسمى كل فترة (بالطرشة) ولا تزيد مدتها عن شهر يقضيها البحارة في البحر ثم يعودون إلى اهلهم، واذا هبت عليهم رياح عاصفة اثناء فترة الغوص تركوا اماكنهم واقتربوا من سواحل جزيرة البحرين أو المحرق، ويدخلون في احدى الشعاب للاحتماء من هذه الرياح العاتية، ثم العودة إلى الغوص ثانية ويطلق عليها اسم (هيرا) وهنا يجمع النواخذة حاصل اللؤلؤ ويتولى بيعه، ويكون نصيبه الخمس من جميع ما استخرج منه، ثم يقسم الباقي عليهم بعد أن يخرج منه قيمة تكلفة الاكل والشرب زمن الغوص، فيعطي للغائص ٦٠% والسيب ٣٠% والرضيف ١٠% والتباب ليس له شيء سوء فائدة التمرين على الغوص وما أكله فقط [٤١]، يلاحظ قسمة المحصول الخاص بموسم الغوص الكبير فيها حيف وظلم كبير، ويلحق بالعاملين حيث تتم بطريقتين أولها (السفلية)[٤٢]، وبموجبها يسلف النواخذة الغواصين والسيب والرضيف نقودا بفائدة محددة ((يتحايلون في سبيل الحصول عليها عن طريق اعطائهم مواد غذائية ليشترونها منهم بسعر اقل ثم يبيعونها إلى التجار بسعر اعلى))، كما يقوم النواخذه بشراء مؤنهم لموسم الغوص على أن يستردها من محصول الموسم القادم وعادة ما يكون قليلا، لذلك يعجز الغواص عن ايفاء التزاماته فتتحول مديونيته إلى الموسم القادم [٤٣].

وبذلك يكون الغواص اسير الربان بحيث لا يستطيع الخلاص منه حتى بعد وفاته، إذ يلاحق اولادهم ويسفرهم أو يبيع دارهم، إذا كان الابناء عاجزين عن ايفاء الدين أو يتزوج ارملته ليحولها إلى خادمة في بيته ويتخذ من ابنائها اجراء على سفينته باعتباره سيدهم [٤٤].

والثانية هي طريقة الخماميس التي بموجبها يحصل صاحب السفينة على خمس المحصول، ثم توزع على اربعة اقسام اخرى كما تمت الاشارة اليها.

٤- موسم غوص الردة:

وهو الموسم الذي لا يحتاج إلى سفن أو عملية غوص ولا إلى اعمال اخرى وهي عندما ياتي فصل الربيع يهرع الناس من اهل جزيرة المحرق وجزيرة البحرين صغارا وكبارا إلى شواطئ الجزيرتين يلتقطون المحار الذي تقذفه مياه الخليج العربي إلى الساحل وتسمى هذه العملية (المجني)، أو جنى المحار من سواحل البحر [٤٥]، أمّا تسمية الردة وتعني العودة إلى مناطق الغوص وتكون عادة اختيارية من يرغب من البحارة وليس هناك ما يجبرهم الاشتراك في العودة، فبعد العمل المضني قد لا يجد البحار نفسه قادراً على الدخول إلى البحر ثانية ولاسيما وان الطقس يأخذ بالبرودة والبحر بالاضطراب، كما أن هناك بعض النواخذة لا يرغبون في الدخول بالغوص ويفضلون سحب سفنهم إلى الشاطئ كي تجف ثم صيانتها وتنظيفها وتجهيزها إلى الموسم القادم [٤٦].

سادساً: الاثار الاجتماعية والاقتصادية لصناعة الغوص وانعكاساتها على المجتمع البحريني:

قد لا تكون رحلة الصيد ايجابية احيانا، بل توصف بالسلبية، أو رحلة العذاب، حيث أن الكثير من الرجال يقامرون بارواحهم ومنهم من يصاب بامراض عاتية [٤٧]، فقد ذاق الكثير منهم الالام فكم عزيز غطس في البحر ولم يخرج منه، وكم امراة ثكلى على الشاطئ ناحت بعد أن رجع القوم ولم يرجع والدها أو اخوها أو زوجها، وانما ذهب جسمه طعاما للاسماك[٤٨]، اذن العمل في صناعة الغوص شاق ومؤلم ومرهق للعاملين فيه ولم تكن طبيعته التي افرزتها على مدى قرون من الزمان، فقد كانت شبكة علاقات هذه الصناعة الاجتماعية هي التي تصنع العبء على الغواص فوق عبء العمل المجهد، حيث لن يكون ليخرج بنتيجة عمله هذا اخر الموسم إلاَّ بفتات الطعام لنفسه ولافراد اسرته ولا يوازي ما بذله من جهد وعناء[٤٩].

أمّا على الصعيد الاقتصادي فقد شكلت صناعة اللؤلؤ العصب الرئيس لاقتصاديات البحرين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى العقد الثالث من القرن العشرين، والجدول رقم (٣) يوضح تقديرات بعض المخمنين بالجنيه الاسترليني لمدخولات البحرين من مصائد اللؤلؤ.

الجدول رقم (٣)

مدخولات البحرين من مصائد اللؤلؤ

اسم المخمن	السنة	مبلغ المدخولات
ويلسون	١٨٣٣	٢٤٠ الف جنيه
زويمر	١٨٦٩	٣٠٣.٩٤١ جنيه استرليني
جريفتر	١٩٠٠	٥٠٠ الف جنيه

هرسون	١٩١٣	١.٥ مليون جنيه
امين الريحاني	١٩٢٣	٢ مليون جنيه استرليني
جي كنوكس	١٩٢٥	١٩٢.٢٢٠ مليون جنيه
بلجريف	١٩٢٦	١.٥ مليون جنيه
ماكس ثور نبرج	١٩٤٦	١٦٢ الف جنيه
تقرير حكومة البحرين	١٩٥٤	٢٧ الف جنيه (٥٠)

وعلى اية حال فان العصر الذهبي للؤلؤ في البحرين اخذ بالافول، بعد اكتشاف النفط في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين واخذ عدد سفن صيد اللؤلؤ والعاملين عليها بالهبوط تدريجيا والتحول إلى العمل في صناعة النفط فهي اكثر ضمانا واستقرارا، كما انها وفرت ظروف عمل افضل، فضلا عن ذلك ظهور اللؤلؤ الصناعي وهو الارخص ثمنا وقد اثر بشكل مباشر على طلب اللؤلؤ الطبيعي البحريني في كل من الهند واوربا (٥١).

ومع ذلك يمكن تقديم بعض الرؤى التي تهدف النهوض بصناعة الغوص في البحرين، بدلا من تركها مجرد ارثا حضاريا سالفا ومنها الاتي:

١- انشاء مجلس من خبراء اعمال الغوص يعهد اليه مسؤولية الاشراف على مغاصات اللؤلؤ والسعي لتوسيع مجال العمل في استثماره لاعادة انتاجه إلى سابق عهده.
٢- تخصيص مبالغ كافية من احتياطي النفط وموارده لغرض دعم المجلس المذكور، ويقوم بمهمة تسليف الغواصين على أن تستوفى منهم حسب انظمة الغوص المعمول بها.
٣- السعي لتشجيع استعمال اساليب الغوص الفنية من قبل الغواصين باستعمال الاجهزة الحديثة مع الاسترشاد بالخبراء الاجانب لتدريب المواطنين على استعمالها.
٤- تشكيل شركة مساهمة باسم شركة (استثمار اللؤلؤ) يحق لكل مواطن شراء اسهمها وتناط اعمال الغوص بها (٥٢)، وبذلك تتحرك هذه الصناعة من جديد.

ملحق بالصور التوضيحية

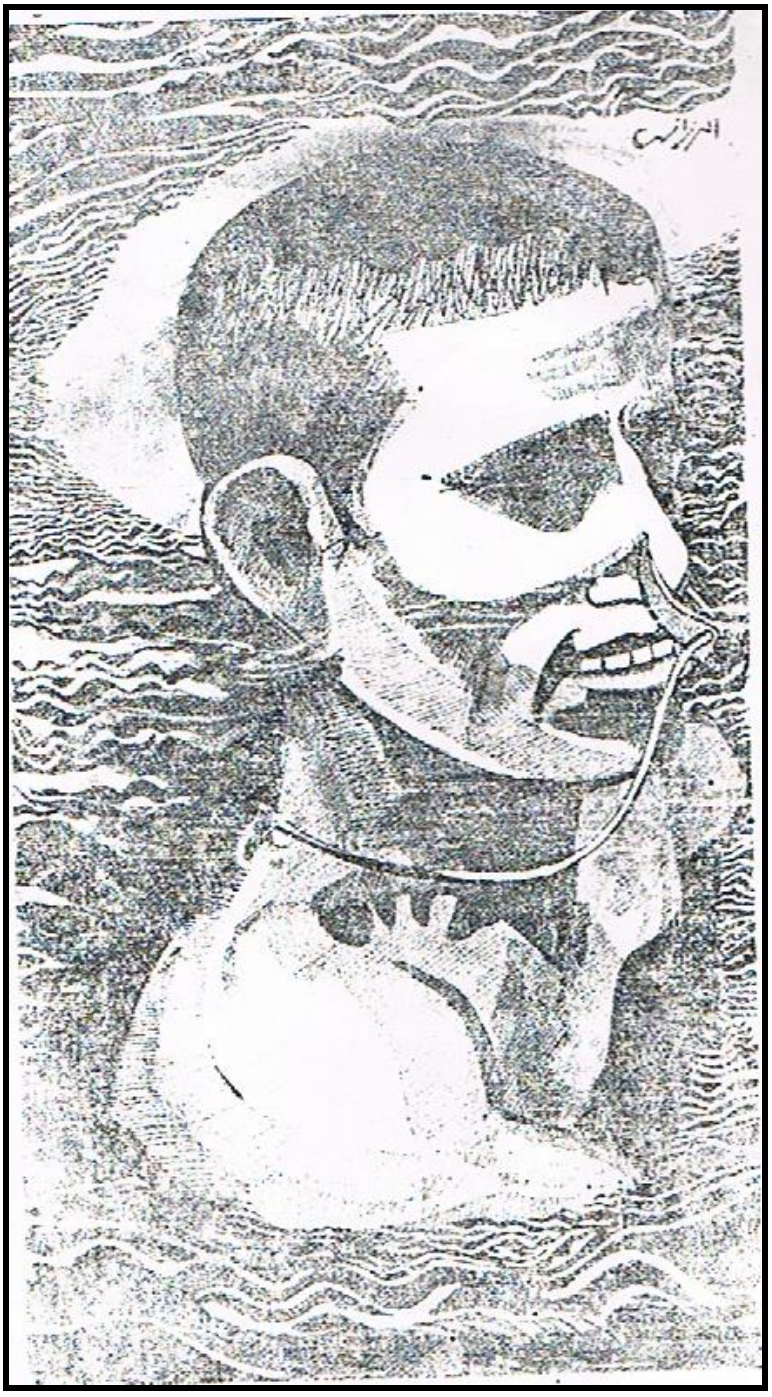

صورة رقم (١)

توضيح الفطام مثبت على انف الغواص

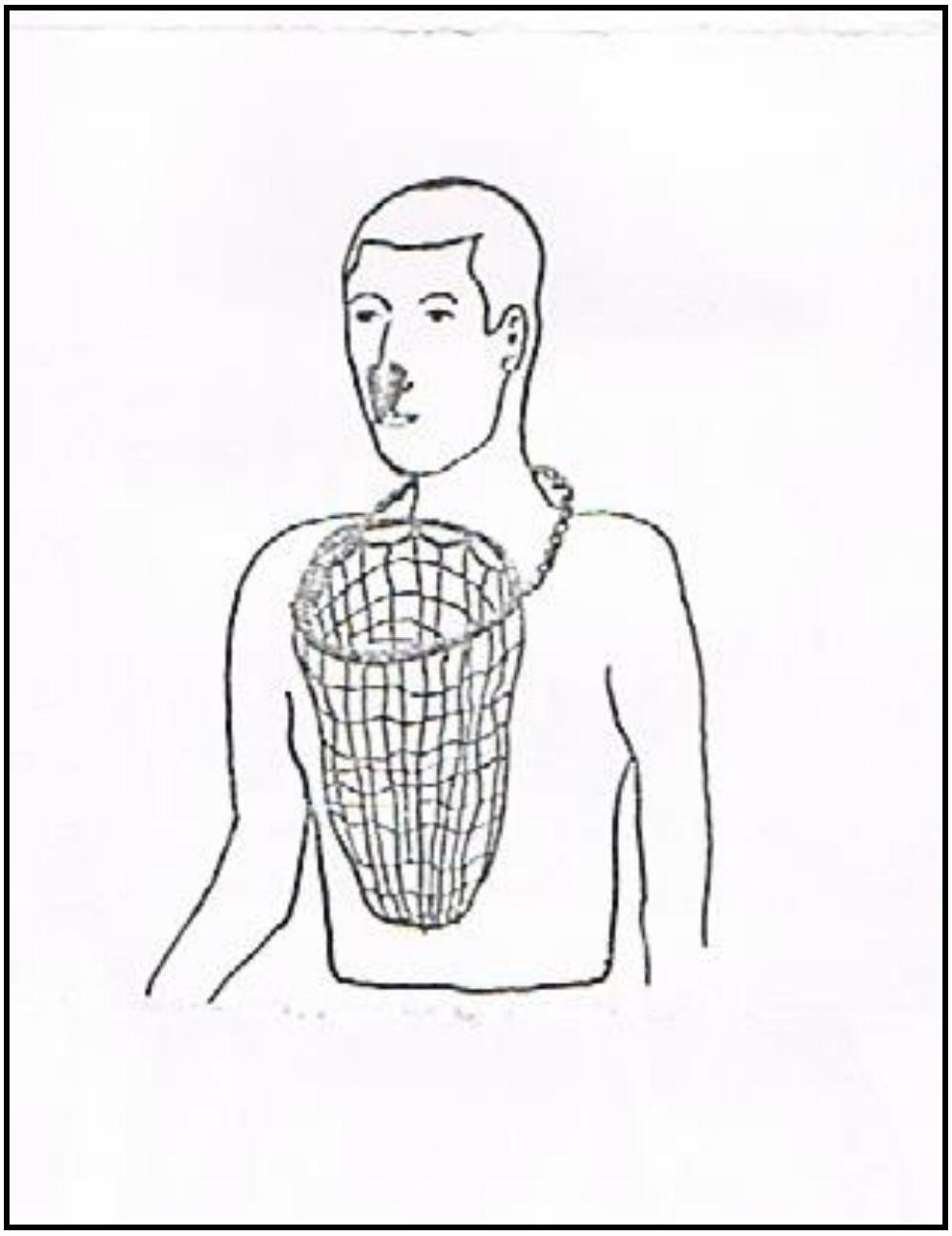

صورة رقم (٢)

توضيح السلة أو (الدبين) مثبتة على صدر الغواص

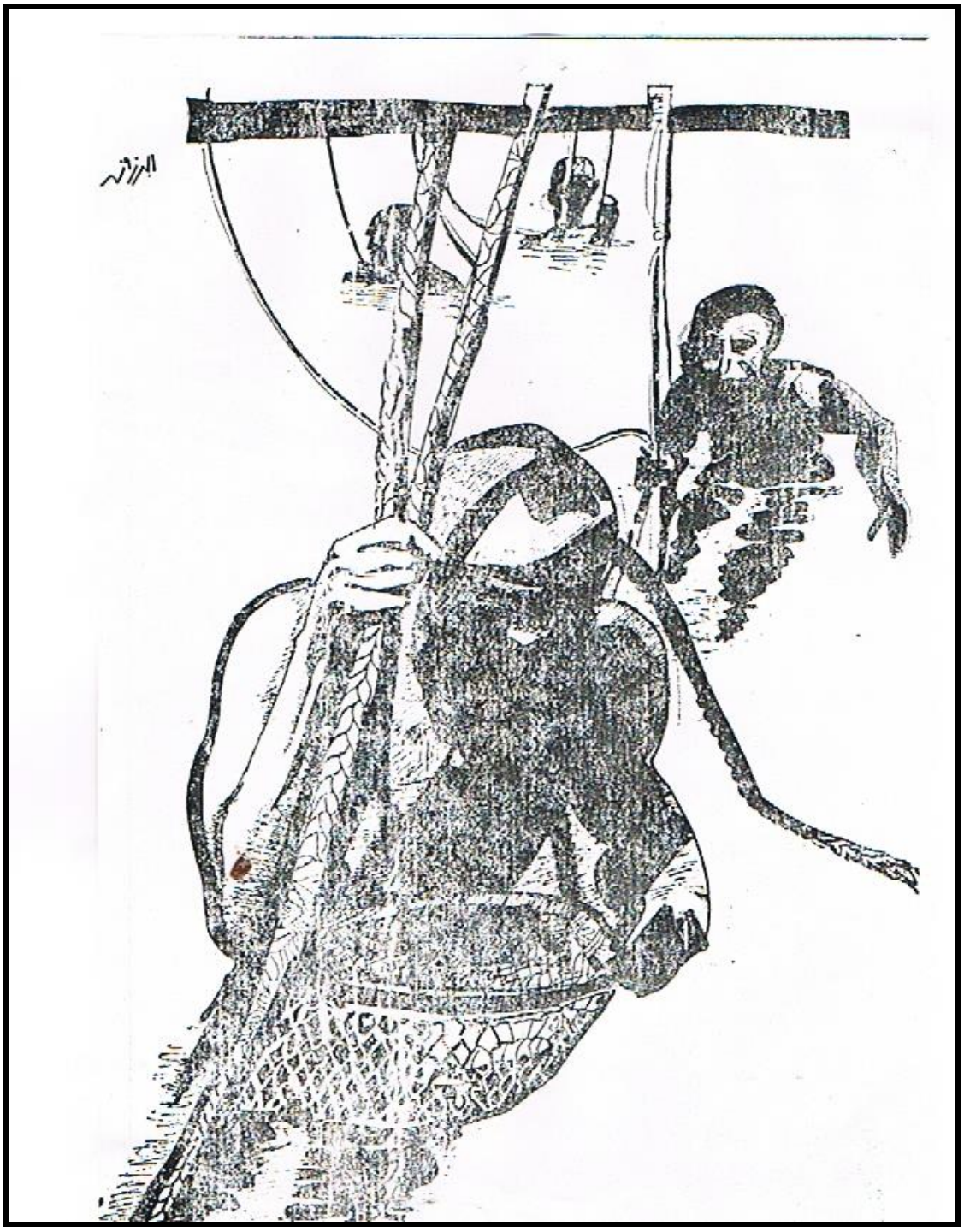

صورة رقم (٣)

توضح الغواص في طريقه إلى قاع البحر

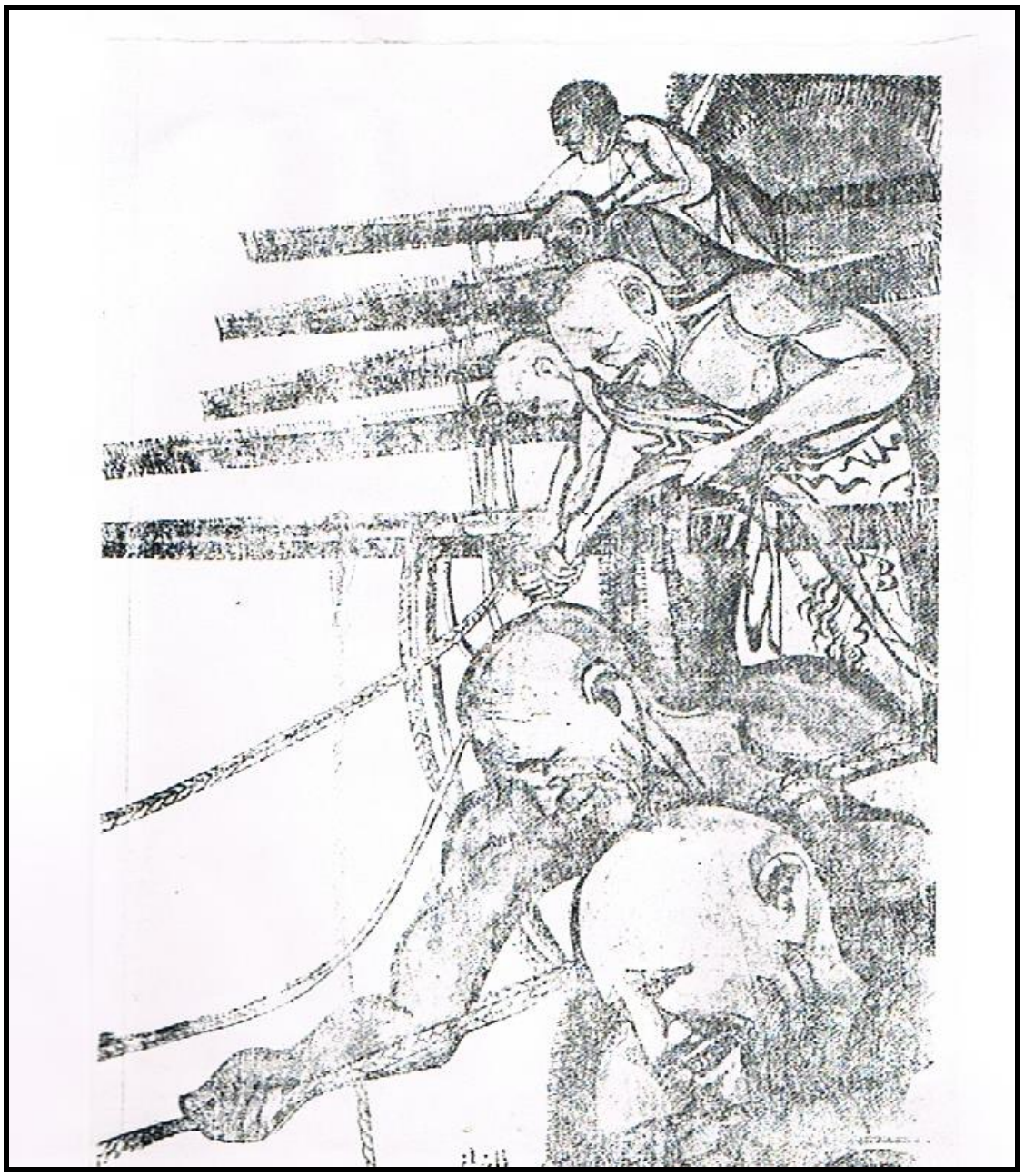

صورة رقم (٤)

توضح طريقة عمل السيب في سحب الغواص

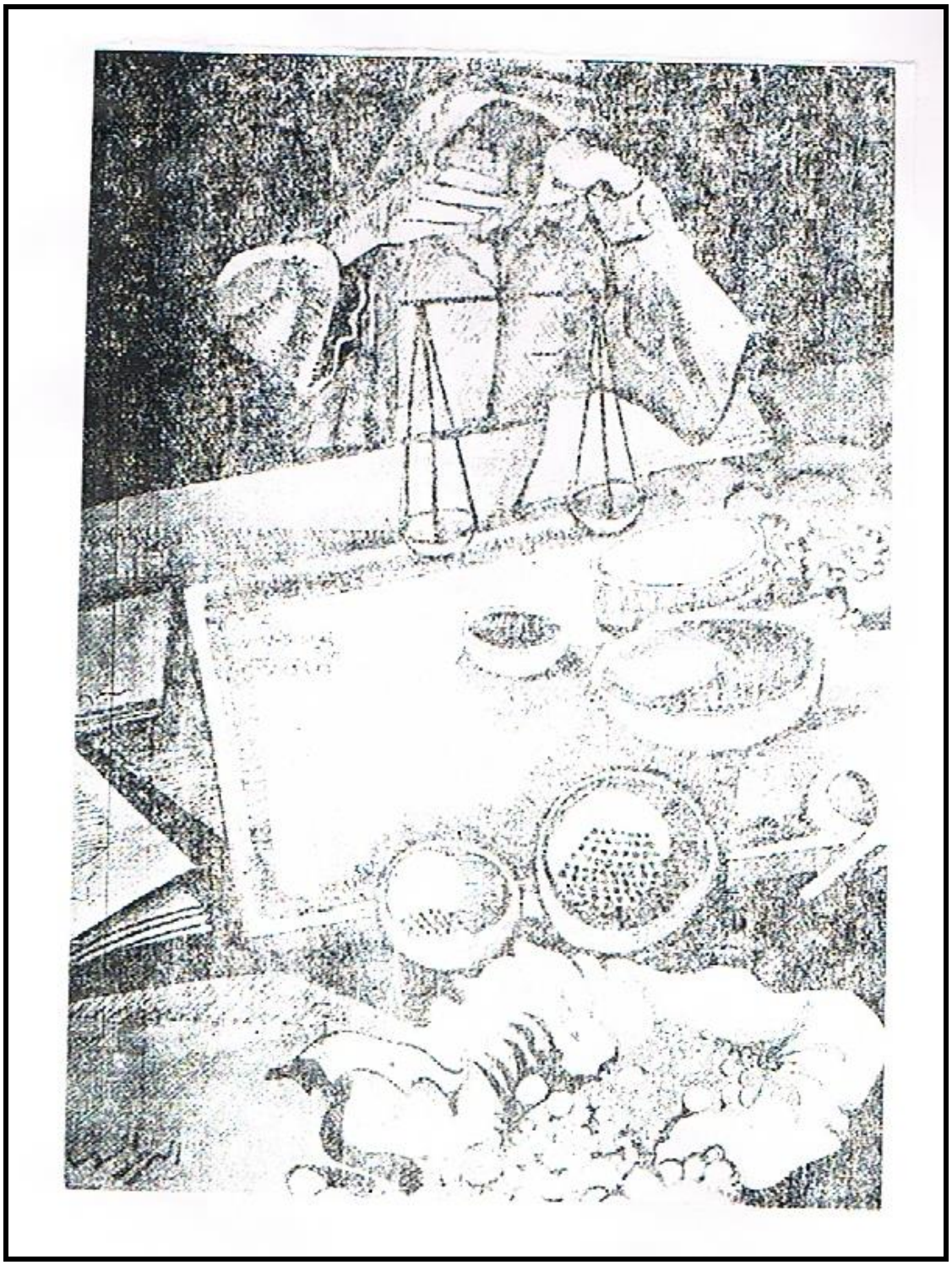

صورة رقم (٥)

توضح احد الطواويش وهو يزن مردود الغوص

المصادر والهوامش:

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، دولة البحرين، دراسة في تحديات البيئة والاستجابة البشرية، المنامة، ١٩٧٥، ص١٩٥.
(٢) ابراهيم عبد الكريم محمد، البحرين واهميتها بين الامارات العربية، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، البحرين، ط١، ١٩٧٠، ص٢٩.
(٣) Belgrave. J. H. D. Welcome to Bahrain, London, ١٩٦٨, p.٤٣.
(٤) Williams, M. O. Bahrain, Port of Pearls and Petroleum, the National Geographic Magazin. Feb. ١٩٤٦, p.١٩٥.
(٥) عن جدول مغاصات اللؤلؤ في حوض الخليج العربي ينظر: مجلة الخليج العربي، العدد الثاني/ بغداد، ١٩٧٥، ص٢٩٧.
(٦) لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافى، ج٦، ترجمة مكتب ديوان، حاكم قطر، ١٩٧٦، ص٣١٢١.
(٧) محمد الرميحى، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين ١٩٢٠-١٩٧٠، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٦، ص٧١.
(٨) صبرى فارس الهيتى، الخليج العربي دراسة في الجغرافية السياسية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة رقم ١٦٢، بغداد، ١٩٧٨ ، ص١٧٧.
(٩) احمد رمضان شقيله، صناعة الغوص في الامارات العربية، مجلة الخليج العربي، العدد الثامن، بغداد، السنة ١٩٧٧، ص١.٣٩
(١٠) خضير نعمان العبيدى، البحرين من أمارات الخليج العربى، ط١، بغداد، ١٩٦٩، ص١٥٧.
(١١)خليفة عبد الله الشملان، صناعة الغوص، المنامة، د. ت، ص٥٨.
(١٢) الرميحى، المصدر السابق، ص ٧٣.
(١٣) شقيلة، المصدر السابق، ص ٤٢.
(١٤) الفليق، هى عملية فتح المحاورات المستخرجة من قاع البحر في منطقة المغاصات.
(١٥) الرميحى، المصدر السابق، ص ٧٣.
(١٦) الشملان، المصدر السابق، ص٥٩.
(١٧) محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، المطبعة المحمودية، ط٢، القاهرة، ١٩٢٣، ص١٩.
(١٨) قدر وقت التبه ما بين (٤٠-٧٥) ثانية، بدون نفس تحت الماء وعلى عمق يتراوح بين (١٠-٢٧م)، حسب عمق المغاصة واثناء ذلك يقضى الغواص مدة من القلق والخطر على حياته خوفا من الاختناق أو مهاجمة الاسماك المتوحشة أو من ضيق الملابس التى يلبسها أو الحبال التي يلفها حول جسمه، شقيلة، المصدر السابق، ص٤١.
(١٩) الهيتى، المصدر السابق، ص ١٧٨.
(٢٠) عبد الله يوسف الغنيم، الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية القديمة، الكويت، ١٩٧٣، ص٩.
(٢١) الشملان، المصدر السابق، ص ١٥.
(٢٢) الرميحى، المصدر السابق، ص ٧٤.
(٢٣) نعمان العبيدى، المصدر السابق، ص ١٦٣.
(٢٤) الجدول نقلا عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، دولة البحرين، المصدر السابق، ص١٩٧.
(٢٥) محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٣، ص٢١٤.
(٢٦) المصدر، نفسه، ص٢١٤.
(٢٧) نعمان العبيدى، المصدر السابق، ص ١٥٩.
(٢٨) المصدر، نفسه، ص١٥٩.
(٢٩) شقيلة، المصدر السابق، ص ٤٥.
(٣٠) لوريمر، القسم التاريخى، ج٦، ص٣٢٠٧.
(٣١) الرميحى، المصدر السابق، ص ٧٤.
(٣٢) شقيلة، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٣٣) الرميحي، المصدر السابق، ص ٧٤

(٣٤) Lyadal - Jassani, Aspectesed. L`economic du. Colf Arabe arant e`yeptrolier: بحث منشور باللغة الفرنسية (اوجه النشاط الاقتصادى في الخليج العربي قبل اكتشاف النفط) مجلة دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة، العدد العاشر، ايلول ١٩٧٨.

(٣٥) الشملان، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٦٠.

(٣٧) لوريمر، القسم التاريخى، ج٦، ص٣٢٠٤؛ غنيم ن، ص٤٠.

(٣٨) الشملان، المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٦٤.

(٤٠) الخماسين، تطلق هذه التسمية على النواخذة الثانى، فهو يحاسب بحارته أولاً باول ويسمى بالخماسين لانه يقوم بخصم خمس الايراد ويعطى لبحارته نصيبا من هذا الخمس أيضاً.

(٤١) نعمان العبيدى، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٤٢) الهيتى، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٤٣) الشملان، صناعة الغوص، ص٥٩.

(٤٤) محمد غانم الرميحى، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، منشورات، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٥، ص٣٥.

(٤٥) نعمان العبيدى، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٤٦) الشملان، صناعة الغوص، ص٥٩.

(٤٧) Ameen Rihani, Around the coast of Arabia, London. ١٩٣٠.

(٤٨) الرميحى، البترول والتغير الاجتماعى، ص٣٢.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٣٢؛ علي عجيل منهل، حركة التحرر في البحرين ١٩١٤-١٩١٧، مجلة الخليج العربي، العدد الثالث، ١٩٧٥، ص٧٤.

(٥٠) استحداث الجدول من عمل الباحث، واشتقاق المعلومات من الرميحي، قضايا التغير السياسي والاجتماعي، ص٧٦-٧٧.

(٥١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، ص١٩٦.

(٥٢) محمود بهجت سنان، المصدر السابق، ص ٢١٥.

Diving industry (pearling) in Bahrain
A study in social and economic history

Prof. Dr.Sahab Mahdi Rmad
of the College of Education, Ibn-Rushd

Abstract

Pearling profession in Bahrain and the Gulf region in general occupied an important place in the region's economic and social modern history, before the discovery of oil during the twenties of the last century.

This study shed light on the nature of this profession and working conditions of its staff to accomplish a task which is not easy, but drained the effort and made a great sacrifices, the study material distributed on six main axes, included the definition with the natural tenets of diving industry in Bahrain, evoking and preparing the profession required equipment, with determining the work cadres and distributing the tasks, with reference to the work practices and daily ritual, I also defined with the diving four seasons in terms of features and characteristics, then showed their social, economic, and Implications on the Bahraini society, and presented at the end of the study the visions aimed to re-interest with this cultural heritage of Bahrain, the study also strengthened by the extension of demonstration images that represent work details in the diving industry.